ماذا لو أحببتُ تمساحاً؟

عائشة بلحاج

لا فرق بين التّمساح والعفريت، حين يقعان بين فكّي الحب الواسع وسواطير الحروب الصّغيرة للحياة. بغض النظر عن العفريت، ماذا يفعل التّمساح حين يقع في الحبّ؟ يتساءل سعيد منتسب، مع أنه يدرك أنّ لا خيارات كثيرةً أمام الواقع في الحبّ، إنسان أو تمساح أو عفريت. غير الاستسلام. الحبّ حاكمٌ مستبد، لا مشورة ولا رأي لغير القلب عنده. وإذا كانت العفاريت العاشقة تتلبّس الإنسان الذي تعشقه، حسب المعتقدات الشّعبية، فالإنسانُ يتلبّس التّمساح في رأي منتسب. للتمساح وجوه كثيرة في المغرب، لذا يمكن فهمه هنا أنه إنسانٌ له خصال التمساح، وهي الزّحف والغدر والافتراس. أو العودة إلى المصطلح السياسي الشهير عن «التماسيح والعفاريت»، الذي راج في العقد الماضي لوصف الفساد، حسب رئيس الحكومة الأسبق عبد الإله بنكيران. لا فرق جذرياً، غير أن تماسيحنا هنا ليست بالغة الشّوه، أو متنفخة بطوطها بمال المساكين، بل يمكن أن تكون أيّاً مّنا، حسب سعيد منتسب، في كتابه الجديد «تماسيح مصمّمة لقول شيءٍ ما». الذي جاء على شكل مشابك قصصية، غير مصمّمة لنشر الغسيل الإنساني، بل لتقديده في سطوح عالية.

يعطينا الكاتب أيضاً وصفةً لقتل التمساح، سواء أكان عاشقاً، أم مجرّد متسكّع في الدنيا على غير هوى: «لا يَحمدُ التمساح وينتهي أمرُه إلا إذا قُطع ذيله، وأُحرق ووضع في حُقّ (مرطبان) مختوم بالشمع الأحمر، فإذا تُرك لحاله، تجمّعت الروح في الذيل وخرج منها سائلٌ أصفر إذا خثر تشكل منه أنبوب غضروفي ينمو إلى أن يصير تمساحا مكتمل العضلات بارز الفكوك». إنن، لا تموت التماسيح عاشقةً كانت أو مفترسة للمال والمآل. لكن، ماذا يحدُث في العكس: عندما يحاول التّمساح قتل الإنسان؟ مع العلم أن المفترسة تمساحة أنثى، تلتهم رجلاً عاشقاً مسكيناً؟

«رأيت زوّار الحديقة يأتون أفواجاً. يُحدثون ضجّة كبيرة، يتدافعون على السياج وأنا أنزف على طرف الحوض المائي، لا أقوى على الصراخ، كأنني بلا فم. كان من المفترض أن تأكلني بالكامل، لكنها رفضت الإمعان في أدائها الافتراسي. اكتفت بابتلاع ساقٍ واحدةٍ قبل أن تنزل إلى الماء». هكذا يصمّم الإنسان المسكين على الموت، في سبيل الحب، على عكس التمساح الذي يحيا حتى لو قُتل قتلاً يسعى إلى الإفناء.

تتشابه التماسيح حتى لو اختلفت: «ما جعلني متأكداً من أنه التمساح نفسه هو البقعة الكستنائية فوق كتفه، والجرحُ البارز على الحاجب الأيسر من وجهه». لا يمكن أن أخطئ. الفرق الوحيد بينهما إذا استثنينا الحجم هو المكان. ذلك التمساح كان يعيش في محميّة بشمال أستراليا. أما هذا، فيعيش في جيبي الذي لا يتوفّر على أي منفذ للإخلاء... الإلزامي». هذا التمساح هو صاحب الغارات الجبيية التي تعوّدتُ عليها وواجهتها بالصمت». الآن، عرفنا أن فصيلة هذا التمساح متسلّق، متنقّل بقدرةٍ ساحرة بين الجيوب والشوارع بلا رادع. «ظلّ يزحف طويلا بين الأرصفة. تعبُره أضواء الإنذار التي تطلقها سياراتُ الأجهزة الأمنية التي مدّت رأسها إلى مسرح الجريمة وأعاوتها حسيرا. ابتسم، واستلَّ نفسَه من الاهتمام بما يجري هناك». لكنه مجرّد تمساح واحد بين عشرات غيره. وفي حالة ما إذا سكن التمساح جسد الإنسان، فهو يفعل ذلك بكل تهيّؤاته التي تهلكه إنساناً وتمساحاً. يُخيل إليه أنني في مكان آخر، ربما يشعر برغبتي في عدم البقاء. أعرف أنني أعيش داخله بصور لا أعرفها، وهذا شيءٌ لا يمكن علاجه. أحياناً يُدعى أنه دفنني في جزيرة تسمّى (سوغو) تحكُمها امرأةٌ رنجية». فما الذي يبرده تمساحٌ ظمآن من بركة مياه لا توجد إلا في رأسه؟ البركة، عكس الحقيقة الفيزيائية، ليست شيئاً بعينه، وإنما كائناً في حالة مستمرّة من المواربة. دائماً تدفع المستحمَّ فيها نحو شيءٍ مجهول». حسناً إذن، ماذا يفعل التمساح عندما يقع في الحبّ يا سعيد؟ «سيفعل ما تمليه عليه طبيعته. سيفتح فمه على اتساعه». ولعله حينها يبتلع تمساحته التي منحها الروائي والقاص سعيد منتسب مساحة وافرة في تحفته القصصية، الصادرة حديثاً عن دار خطوط وظلال (عمّان)، الجديرة بالقراءة والهضم الكامل، سواء كنّا بشراً أو تماسيح، أو خليطا منهما.

هل فعلاً «إسرائيل ليست محميّة أميركية»؟

أسامة أبو ارشيد

«إسرائيل ليست محميّة أميركية، ولكنها دولة مستقلة وديمقراطية، مواطنوها هم الذين يختارون الحكومة». ونتوقّع من أصدقائنا أن يتحرّكوا لإطاحة نظام حماس الإرهابي وليس الحكومة المنتخبة في إسرائيل». ... هذا جانب من بيان رسمي تناقلته وسائل إعلام إسرائيلية أول من أمس الأربعاء، ونسبته إلى «أعلى مصدر سياسي إسرائيلي يمكن تصوّره»، في إشارة إلى رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو. اتهم البيان نفسه إدارة جو بايدن بمحاولة التدخّل في السياسة الداخلية الإسرائيلية والسعي إلى إطاحة حكومة نتنياهو على خلفية اتساع شقة الخلاف بينهما بشأن كيفية إدارة العدوان الإسرائيلي في قطاع غزة وتنفيذه. ويبدو أن هذا البيان جاء ردّاً مباشراً على تقرير لمجتمع الاستخبارات الأميركي (يمثل 18 وكالة استخبارية)، نُشر الأحد الماضي، ألقى ظلالاً من الشك على «قدرة نتنياهو على الاستمرار زعيماً» لإسرائيل. جاء فيه «قدرة نتنياهو على البقاء كزعيم وكذلك ائتلافه الحاكم المكون من أحزاب أقصى اليمين والأرثوذكسية المتطرّفة التي اتبعت سياسات متشدّدة بشأن القضايا الفلسطينية والأمنية قد تكون معرّضة للخطر». وأضاف أن أجهزة المخابرات الأميركية تتوقّع «احتجاجات كبيرة تطالب باستقالة نتنياهو وإجراء انتخابات جديدة في الأسابيع والأشهر المقبلة». وتشكيل حكومة مختلفة وأكثر اعتدالاً أمر محتمل».

يؤكّد خبراء في العلاقات الأميركية – الإسرائيلية أن إعلان (ونشر) مثل هذا التقييم الاستخباراتي الأميركي عن زعيم دولة حليفة يُعدّ أمراً غير معتاد، وهو الأمر الذي عزّز من اعتقاد مسؤولين إسرائيليين أن ذلك ما كان ليتم من دون موافقة مسبقة من البيت الأبيض. ولا يخفى حجم الخلافات المتصاعدة بين إدارة بايدن وحكومة نتنياهو، وبين بايدن ونتنياهو على المستوى الشخصي. ولا يتردّد الرئيس الأميركي في الأسابيع الأخيرة في التعبير عن إحباطه واستيائه من أسلوب نتنياهو في إدارة العدوان في قطاع غزة، خصوصاً لناحية حجم الضحايا المدنيين، وتعويق دخول المساعدات الإنسانية، فضلاً عن التلويح باجتياح مدينة رفح، جنوبي القطاع، والتي تؤوي قرابة 1,4 مليون شخص، أغلبهم نازحون، من دون خطة لضمان سلامتهم أو نقلهم إلى مناطق أكثر أمناً.

وكان بايدن قد قال، في مقابلة تلفزيونية، الأحد الماضي، إن اجتياح رفح يمكن أن يكون بمثابة «خطّ أحمر» بالنسبة إليه، مطالباً نتنياهو بأن «يولي المزيد من الاهتمام للأرواح البريئة التي تُزهق نتيجة الإجراءات المتّخذة». لم يكتف بايدن بذلك، بل اعتبر أن نتنياهو «يضرّ إسرائيل أكثر من مساعدتها». ولم يتأخّر رد نتنياهو، الذي جاء في اليوم نفسه في مقابلة مع موقع أميركي، إذ قال «سنذهب إلى هناك (رفح)، لن نتركهم (حماس). كما تعلمون، لديّ خط احمر. هل تعرف ما هو الخط الأحمر؟ إن السابع من أكتوبر لن يتكرّر. لن يحدُث ذلك مرّة أخرى».

اللافت أن بايدن ما كاد يكمل تحذيره السابق بشأن خطّه الأحمر حتى كان يناقضه في الجملة نفسها «لن أتخلّى عن إسرائيل أبداً». لذلك ليس هناك خطّ أحمر أقطع بموجبه جميع الأسلحة عنهم (إسرائيل)». وهو الأمر الذي يدركه نتنياهو تماماً، ومن ثمّ فإنه حرص في خطابه أمام اللوبي الصهيوني الأميركي الأبرز، لجنة الشؤون العامة الإسرائيلية الأميركية (أيباك)، الثلاثاء الماضي، على التشديد على أنه لن يرضخ للضغوط الخارجية التي تُطالبه بعدم اجتياح رفح. بل لم يتردّد نتنياهو في الاستهزاء على بايدن شخصياً عبر زعمه أن غالبية الأميركيين وأغلبية في الكونغرس تدعم إسرائيل. أمام ذلك كله، تبدو إدارة بايدن عاجزة تستجدي نتنياهو، وهي حين «تسترجل» معه عبر توجيه تهديدات مبطنة إليه، كالتحذير من شرط المساعدات العسكرية الأميركية لإسرائيل، لا تلبث أن تتراجع عنها.

> إسرائيل «محميّة أميركية»، ولكنها عرفت كيف تتمرّد على الراعي وكيف تخترق حصونه وتفاعلاته السياسية الداخلية

عودة إلى زعم نتنياهو إن «إسرائيل ليست محميّة أميركية ولكنها دولة مستقلة وديمقراطية». المفارقة أن إسرائيل التي تدين بوجودها للدعم الأميركي، تتعامل مع الولايات المتحدة كأنها صاحبة الفضل عليها. تدرك إسرائيل أنها غير قابلة للحياة من دون أميركا، وفي الوقت نفسه، لا تكفّ عن عضّ يدها الممدودة إليها، ووضع إصبعها في عينها. لولا الدعم العسكري والسياسي والدبلوماسي غير المحدود حتى الضغوط التي مارستها إدارة بايدن على نتنياهو للسماح بدخول مزيد من المساعدات الإنسانية برّاً إلى قطاع غزة الذي يواجه غالب سكّانه مجاعة حقيقية، فإنها ما لبثت أن أقرّت بعجزها ضمناً، فكان أن نسّقت مع تل أبيب إسقاط مساعدات عبر الجو، وهو ما وصفه مسؤولون أميركيون سابقون وحاليون بأنه «إهانة» و«إذلال» إسرائيليان للولايات المتحدة وللرئيس نفسه. أما قصة «الميناء البحري المؤقت» الموعود فهو استمرار للإذلال والمهانة نفسيهما، إذ يتم بالتنسيق مع إسرائيل وسيكون تحت إشرافها الأمني، وهو ما بعد بمثابة استئمان الذئب على قطيع الغنم.

الذي قدّمته واشنطن لها ما كان لإسرائيل أن تستمرّ في شنّ حرب الإبادة في قطاع غزة. ولولا الأصول والقدرات العسكرية الأميركية التي نشرتها إدارة بايدن في المنطقة بعد عملية طوفان الأقصى في 7 أكتوبر لمنع توسّع الحرب إقليمياً، لربما كانت إسرائيل تواجه وضعاً عسكرياً حرجاً. وحسب تقرير نشرته صحيفة واشنطن بوست في 6 مارس/ آذار الجاري، أرسلت إدارة بايدن إلى إسرائيل أكثر من مائة شحنة عسكرية منذ 7 أكتوبر، قيمتها مليارات الدولارات. وحسب تقرير آخر في الصحيفة نفسها (12 مارس/ آذار الجاري)، فإن إسرائيل تلقت من الولايات المتحدة منذ إنشائها أكثر من 300 مليار دولار مساعدات عسكرية واقتصادية، إذا أخذنا في الاعتبار معدّلات التضخّم. وبعد ذلك كله، يزعم نتنياهو إن «إسرائيل ليست محميّة أميركية»! الحقيقة إن إسرائيل «محميّة أميركية»، ولكنها عرفت كيف تتمرّد على الراعي وكيف تخترق حصونه وتفاعلاته السياسية الداخلية وتتلاعب بهما، بشكل يعرّض مصالحه الاستراتيجية العليا للخطر.

(كاتب فلسطيني في واشنطن)

عندما تتغيّر التحالفات وتتبدّل المصالح في ليبيا

أبو القاسم علي الربو

تشهد ليبيا حراكا سياسيا واجتماعيا ملحوظا داخل البلاد وخارجها، فقد أعادت تحرّكات رسم خريطة التحالفات، وأنتجت تكتّلات جديدة، كانت حتى وقت قريب ليس لها من القواسم المشتركة ما يساهم في اتفاقها على رؤية أو مصلحة واحدة. وستلقي هذه التحالفات بآثارها على مستقبل حكومة الوحدة الوطنية بوتيرة متسارعة، وربما غير متوقّعة من كثيرين من متابعي المشهد في ليبيا. علاقات جديدة تتشكّل، ولا تزال، ستحدّد المستقبل السياسي لحكومة الوحدة الوطنية التي استطاع رئيسها عبد الحميد الدبيبة الاستمرار في الحكم أكثر من ثلاث سنوات، رغم ما نص عليه الاتفاق السياسي الذي دعمته الأمم المتحدة في العام 2021 باعتبارها حكومة مؤقتة ذات مهام محدّدة بخريطة طريق وأهداف واضحة، تتمثّل في تعزيز الشرعية السياسية عبر انتخابات رئاسية وبرلمانية تنهي المرحلة الانتقالية على أساس دستوري جديد، وهو استمرار ساهمت العلاقة مع محافظ مصرف ليبيا المركزي في فرضه على أرض الواقع، رغم كل المحاولات التي بذلت من أجل اعتبارها حكومة منتهية الصلاحية، بعدما صوّت البرلمان الليبي بحجب الثقة عنها، وساهم التراوح بين السلطة والمال في إسكات أصوات معارضة كثيرة خفتت وتلاشت دعواتها إلى ضرورة إجراء الانتخابات، بعد أن أصبح هذا الوضع مثاليا لكثير منها، واستخدمته الحكومة في رسم علاقات اجتماعية وقبلية، ساهمت في كسب ود قبائل كاملة أصبحت تدافع، بطريقة أو بأخرى، في سبيل استمرار الحكومة، وتبنّت موقف رئيسها الذي يرفض تسليم السلطة إلا إلى حكومة منتخبة، وهو يدرك صعوبة ذلك وفق الظروف الراهنة، وقد ساهم مع غيره في عدم نجاح الانتخابات التي اتّفق على إنجازها في 24 ديسمبر/ كانون الأول من العام 2021.

تزاوج وتعاون تحت غطاء التحالفات الإقليمية والدولية كانت ثمرتُه فتح أبواب مصرف ليبيا المركزي أمام حكومة الوحدة الوطنية التي استطاعت الإنفاق كيفما شاءت من دون ميزانيات معتمدة أو موافقات مسبقة، فضُربت ميزانيات كثيرة من دون إقرار من البرلمان الذي عارضها ووصفها بالمتضخّمة مع شبهات فساد مالي أصبح حديث الشارع الليبي، وتناولته معظم الأجهزة الرقابية ومكتب النائب العام. وفي المقابل، تمترس محافظ مصرف ليبيا المركزي، الصديق عمر الكبير، خلف مليشيات أغدقت عليهم الحكومة الملايين لتشتري ولاءَها، وتضمن، بالتالي، سيطرتها عليهم وتوجيههم حيثما شاءت، رافضا (المحافظ) كل القرارات التي أصدرها البرلمان، باعتباره الجهة التشريعية المخوّلة، نظريّا، بتعيين (وإقالة) محافظ المصرف وغيره من المناصب السيادية، وساهم، بالتالي، في إنشاء واستمرار مصرف موازٍ في بنغازي، أدّى وجوده إلى مشكلات اقتصادية ما زالت تتفاقم في كل مرّة، وأدّت إلى تشوّهات اقتصادية قد تقود، حسب محللين، ليبيا إلى الإفلاس.

استمرّ شهر العسل بين الحكومة متمثلة في رئيسها الدبيبة ومحافظ المصرف سنوات، ولكن ما كان لهذه العلاقة أن تستمر إلى الأبد فتضارب المصالح وتغير التحالفات وطبيعة المرحلة، والإملاءات الإقليمية والدولية، أدّت مجتمعةً إلى خلاف ظهر إلى العلن، وتناقلته معظم وسائل الإعلام، رغم كل المحاولات العديدة لاحتواء هذا الصراع ومحاولة حلحلة المشكلات العالقة بينهما، والتي قامت بها أطراف عديدة، خصوصاً تلك المستفيدة من استمرار هذا النزاع. خلافات عكست حدّتها مراسلاتٌ عديدة لم يكتف محافظ المصرف بتوجيهها إلى رئيس الحكومة فقط، بل نشرها على صفحة المصرف على «فيسبوك»، وتعلق معظمها بسياسة التوسّع في الإنفاق التي انتهجها الدبيبة وحكومته منذ استلامه السلطة، حيث قال، في جزء من رسالته، مخاطبا رئيس الحكومة «اشترتم إلى الرخيصة في أن يكون سعر الدولار 1,3 دينار للدولار الواحد، ولكن الرغبة وحدها لا تكفي لتحقيق ذلك، إذ كانت الممارسات الفعلية للحكومات المتعاقبة عكس ذلك»، مضيفا أن الدولة أنفقت منذ العام 2021 حتى نهاية 2023 قرابة 420 مليار دينار، وجّه معظمها إلى صرف الدينار الليبي، حسب ما جاء في الرسالة التي يبدو أنها جاءت رد فعل على اتهام الدبيبة المحافظ بالوقوف وراء تعطل صرف الرواتب، ووضع عصا في دولاب الحكومة المتحرّك ومحاولة إيقاف عملية عودة الحياة التي تبنّتها الحكومة الوحدة الوطنية في تصريحاته بمناسبة الاحتفال بذكرى انتفاضة 17 فبراير/ شباط.

اتهاماتٌ متبادلةٌ ألقت بظلالها على مناخ عدة داخل ليبيا، وانعكست مباشرة على الوضع المالي في البلاد، فارتفع سعر الدولار في السوق الموازي ليصل إلى أرقام قياسية، تزامنه زيادة فورية في أسعار سلع كثيرة لتأكل ما تبقّى من سيولة في جيوب المواطن، وسط تأخّر في صرف مرتبات معظم القطاعات المموّلة من الخزينة العامة، الأمر الذي أدّى إلى تفاقم الوضع المعيشي، خصوصاً مع قدوم شهر رمضان، والذي تكون تلبية احتياجاته تحديا كبيرا لشريحة كبيرة من المواطنين.

وفي الأحوال كافة، وسواء أكانت هذه الخلافات والمناكفات نتيجة لتغيّر خريطة التحالفات أم العكس صحيح، فالوضع السياسي الليبي سيشهد تغيرات كثيرة سترسمها اصطفافاتٌ جديدة بدأت فعليا في الظهور، لعل أهمها العلاقة الجديدة بين رئيس البرلمان عقيلة صالح ومحافظ المصرف المركزي، الصديق الكبير، علاقة يبدو أنها تجاوزت تلك الخلافات التي جعلت رئيس البرلمان يطالب بإقالة المحافظ وتعيين مكانه، باعتباره الجهة التشريعية عديدة لم تجد طريقها إلى التنفيذ، وأهملها المحافظ كإهماله كل قرارات البرلمان الأخرى، وقد وصف البرلمان بأنه منتهي الصلاحية تارة وفاقد الشرعية في أحيان كثيرة أخرى. وفجأة، تغيّرت المفاهيم والقناعات بتغير المصالح السابقة، فالبرلمان لم يعد فاقدا للشرعية، حيث خاطبه المحافظ برسالة نشرت على صفحة المصرف الرسمية وعلى صفحة البرلمان وتناولتها وسائل الإعلام طالبا من رئيسه فرض رسوم جديدة على سعر الصرف الرسمي للدولار وبنسبة 27%، وهو ما يعني عمليا تخفيض قيمة الدينار الليبي، حتى يتسنّى، وفق رسالة الكبير، استغلال هذه الإيرادات التي تقدر بحوالي 12 مليارا في سداد الدَّين العام وتمويل مشاريع تنموية، مؤكّدا أن المصرف المركزي لن يصرف أي مبالغ مالية خارج إطار الميزانية التي يحدّدها البرلمان.

وفي السياق ذاته، لم يعد محافظ المصرف المركزي مغتصبا للسلطة، ولم يعد متمترسا خلف مليشيات تحميه بعد أن أغدق عليها الأموال، وسهّل لها الاعتمادات، وخصّها بمزايا ساهمت في تغولها وسيطرتها على كل مفاصل الدولة في العاصمة طرابلس، ولم يعد الصديق الكبير ذلك الحليف القوي لحكومة الوحدة الوطنية، والتي ساهم في فسادها بتسييل المليارات من دون موافقة البرلمان، لم يعد لهذه الأوصاف والتهم مكان في خطاب البرلمان، وخصوصاً رئيسه الذي صرح، في لقاء تلفزيوني، بأنه اقتنع تماما بما ساقه المحافظ من حجج وأدلة على ضرورة تعديل سعر الصرف بما يخدم الاقتصاد الليبي. وجدير بالذكر أن خلافات الصديق الكبير السابقة مع الأخير بعدما أعاق تمويلها وعرقل اعتماداتها المالية التي أدّت إلى مشكلات عجز السراج عن إقناع حلفائه الاتراك بالتدخل لصالحه لدى الكبير الذي يوصف بأنه رجل تركيا الاقتصادي في ليبيا. ويبدو أن هذا السيناريو يتكرّر مع حكومة الدبيبة التي تفيد الأحداث أخيراً بأنها ستدفع ثمن خلافاتها مع الصديق الكبير الذي يعرف كيف يطيح خصومه، وكيف يعيد رسم تحالفاته بما يضمن بقاءه في منصب يتحكّم من خلاله في الجميع. ولعلّ أجتماع القاهرة أخيراً، والتصريحات الدولية، والأميركية خصوصاً، المرحبة بالاتفاق على ضرورة الاتفاق على حكومة موحدة تقود البلاد إلى الانتخابات، دليلٌ على أن تيار الكبير سيجرف الدبيبة الذي ظلّ صامداً كثيراً.

> تفيد الأحداث أخيراً بأن حكومة الدبيبة ستدفع ثمن خلافاتها مع الصديق الكبير الذي يعرف كيف يطيح خصومه

(كاتب ليبي)

كاريكاتير

عماد حجاج

المشهد الأوروبي قبل الانتخابات الأميركية

باسل الحاج جاسم

تراقب أوروبا من كثب المشهد السياسي الأميركي منذ أشهر، وهناك قلقٌ وارتباك من ضعف الرئيس جو بايدن في استطلاعات الرأي، وكذلك خشية العودة إلى الحقبة التي كان فيها الرئيس السابق، دونالد ترامب، يهدّد العلاقة عبر الأطلسي والتي أبقت أوروبا مزدهرة ومطمئنة تحت مظلة واشنطن الأمنية. وفي أعقاب النجاح الذي حقّقه ترامب في الانتخابات التمهيدية للحزب الجمهوري، يواجه المسؤولون الأوروبيون احتمال عودته إلى البيت الأبيض، وهي نتيجة سيكون لها آثار محتملة على كل شيء، من السياسة التجارية الأميركية إلى الدعم المالي الأميركي لأوكرانيا في الحرب ضد روسيا.

ومع توقف المساعدات لأوكرانيا، واقتراب الانتخابات الأميركية، يدرك القادة الأوروبيون، بشكل متزايد، الحاجة إلى إعادة التفكير في ما قد يكون عليه التزام الولايات المتحدة تجاه أوروبا وأوكرانيا، لا سيما بعد تصريحات ترامب المتعلقة بتشجيع روسيا على مهاجمة دول في حلف الناتو.

وتبحث سلطات دول الاتحاد الأوروبي عن إنشاء هياكل يمكن أن تكمل أو تكون بمثابة بديل لحلف شمال الأطلسي، وبالتنسيق مع الضمانات الأمنية الأميركية، إلا أن الخلافات المعتادة في حقوق الإنسان والحريات العامة.

وهناك استعجال في واشنطن وعواصم كبرى في أوروبا الغربية لاختيار أمين عام جديد لـ«الناتو»، وألا يكون هذا الملف جزءاً من المساومات داخل أروقة الاتحاد لزيد الشرخ بين الأوروبيين. ووفقاً لصحيفة واشنطن بوست، فقيادة دول الاتحاد الأوروبي تشعر بالقلق والغضب من أن ترامب يغازل روسيا، ويدلي بتصريحات غير مسؤولة في ما يتعلق بحلف شمال الأطلسي. وقد توترت العلاقات عبر الأطلسي خلال رئاسة ترامب، لأسباب ليس أقلها الخلاف التجاري بين واشنطن وبروكسل، وشهد هذا النزاع فرض واشنطن تعريفات جمركية على سلع أميركية بقيمة ثلاثة مليارات دولار.

والولايات المتحدة هي أكبر مصدر للاستثمار الأجنبي المباشر في الاتحاد الأوروبي، وبلغ إجمالي التجارة في السلع والخدمات بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي 1,3 تريليون دولار في عام 2022، ما يجعلها أكبر علاقة تجارية واستثمارية ثنائية في العالم، وفقاً للأرقام الرسمية. ولم تكن المصالح الأميركية متوافقة مع المصالح الأوروبية في الفترة التي كان فيها ترامب رئيساً للولايات المتحدة، من التعريفات الجمركية، والالتزام حيال «الناتو»، ومكافحة التغير المناخي. وقالت رئيسة البنك المركزي الأوروبي، كريستين لاغارد، في مقابلة مع قناة فرانس 2 الفرنسية، إن إعادة انتخاب ترامب المحتملة تشكل تهديداً واضحاً لأوروبا، مستندة إلى السياسات التي جرى تنفيذها في فترة ولايته الأولى.

وتشير الاستطلاعات، سواء في فرنسا أو في النمسا أو في بولندا أو في دول أوروبية أخرى، إلى فوز أحزاب اليمين المتطرّف في تسع دول، كما ستحتل أحزاب يمينية متطرّفة أخرى المرتبة الثانية أو الثالثة في تسع دول أخرى. وإذا تحققت هذه النتائج على أرض الواقع، ستشهد تشدّداً كبيراً في سياسات الهجرة، كما سيكون من الصعب على البرلمان الأوروبي فرض عقوبات على دول أعضاء لا تحترم حقوق الإنسان والحريات العامة.

وهناك استعجال في واشنطن وعواصم كبرى في أوروبا الغربية لاختيار أمين عام جديد لـ«الناتو»، وألا يكون هذا الملف جزءاً من المساومات داخل أروقة الاتحاد لزيد الشرخ بين الأوروبيين. ووفقاً لصحيفة واشنطن بوست، فقيادة دول الاتحاد الأوروبي تشعر بالقلق والغضب من أن ترامب يغازل روسيا، ويدلي بتصريحات غير مسؤولة في ما يتعلق بحلف شمال الأطلسي. وقد توترت العلاقات عبر الأطلسي خلال رئاسة ترامب، لأسباب ليس أقلها الخلاف التجاري بين واشنطن وبروكسل، وشهد هذا النزاع فرض واشنطن تعريفات جمركية على الصلب والألومنيوم في الاتحاد الأوروبي، وهو ما ردّ عليه الكتلة الأوروبي بفرض تعريفات جمركية على سلع أميركية بقيمة ثلاثة مليارات دولار.

والولايات المتحدة هي أكبر مصدر للاستثمار الأجنبي المباشر في الاتحاد الأوروبي، وبلغ إجمالي التجارة في السلع والخدمات بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي 1,3 تريليون دولار في عام 2022، ما يجعلها أكبر علاقة تجارية واستثمارية ثنائية في العالم، وفقاً للأرقام الرسمية. ولم تكن المصالح الأميركية متوافقة مع المصالح الأوروبية في الفترة التي كان فيها ترامب رئيساً للولايات المتحدة، من التعريفات الجمركية، والالتزام حيال «الناتو»، ومكافحة التغير المناخي. وقالت رئيسة البنك المركزي الأوروبي، كريستين لاغارد، في مقابلة مع قناة فرانس 2 الفرنسية، إن إعادة انتخاب ترامب المحتملة تشكل تهديداً واضحاً لأوروبا، مستندة إلى السياسات التي جرى تنفيذها في فترة ولايته الأولى.

وتشير الاستطلاعات، سواء في فرنسا أو في النمسا أو في بولندا أو في دول أوروبية أخرى، إلى فوز أحزاب اليمين المتطرّف في تسع دول، كما ستحتل أحزاب يمينية متطرّفة أخرى المرتبة الثانية أو الثالثة في تسع دول أخرى. وإذا تحققت هذه النتائج على أرض الواقع، ستشهد تشدّداً كبيراً في سياسات الهجرة، كما سيكون من الصعب على البرلمان الأوروبي فرض عقوبات على دول أعضاء لا تحترم حقوق الإنسان والحريات العامة.

وهناك استعجال في واشنطن وعواصم كبرى في أوروبا الغربية لاختيار أمين عام جديد لـ«الناتو»، وألا يكون هذا الملف جزءاً من المساومات داخل أروقة الاتحاد لزيد الشرخ بين الأوروبيين. ووفقاً لصحيفة واشنطن بوست، فقيادة دول الاتحاد الأوروبي تشعر بالقلق والغضب من أن ترامب يغازل روسيا، ويدلي بتصريحات غير مسؤولة في ما يتعلق بحلف شمال الأطلسي. وقد توترت العلاقات عبر الأطلسي خلال رئاسة ترامب، لأسباب ليس أقلها الخلاف التجاري بين واشنطن وبروكسل، وشهد هذا النزاع فرض واشنطن تعريفات جمركية على الصلب والألومنيوم في الاتحاد الأوروبي، وهو ما ردّ عليه الكتلة

هوكشتاين خالي المبادرات في لبنان؟

جيرار ديب

عكست تصريحات رئيس حكومة تصريف الأعمال اللبنانية، نجيب ميقاتي، حالة من التفاؤل الحذر بشأن فرص احتواء التوتر في جنوب لبنان، بعد زيارة المبعوث الأميركي آموس هوكشتاين، في 4 مارس/ آذار الجاري، المتوقع أن تتكرّر. وأعلن ميقاتي أن من المنتظر عقد مباحثات غير مباشرة مع إسرائيل خلال شهر رمضان، واعتبر في مقابلة تلفزيونية أن «استقراراً طويل المدى على الحدود الجنوبية يتطلب وقف الانتهاكات الإسرائيلية، وإعادة الأراضي التي تحتلها إسرائيل على طول الحدود». وأفادت المعلومات الدبلوماسية بأنّ هوكشتاين دعا في لقاءاته مع مسؤولين لبنانيين «إلى ضرورة فصل لبنان عن غزّة وفرض الهدوء على الجبهة الجنوبية». وتفيد المعلومات بأن المبعوث الأميركي «تراجع عن شروط انسحاب حزب الله، ولم يذكر هذا الأمر في اجتماعاته، بحيث صار كل مطلبه وقف إطلاق النار». قد يتقاطع تفاؤل ميقاتي مع ما حمله هوكشتاين من مساع جدّية لوقف النار على الحدود الجنوبية وفصل ساحات الصراع في جدوى الصراع القائم بين حزب الله والجيش الإسرائيلي؟ فهل جلّ ما يريده الحزب لوقف حربه، تطبيق قرار مجلس الأمن 1701؟ وهل الولايات المتحدة وصلت إلى حالة من الإفلاس الحقيقي في لبنان، يصبح موفدها يقوم بزيارات مكوكية فقط لوقف النار، من دون أن يكون لديه مبادرة جدّية تحاكي جوهر الصراع وماهيته؟

من يستمع إلى خطابات الأمين العام لحزب الله، حسن نصر الله، المتكررة، يدرك أن الحرب القائمة بعيدة كل البعد عمّا يتداول به ميقاتي، وأن جميع الطروحات التي يحملها هوكشتاين خالية من المضمون الرئيسي للصراع القائم، باستثناء جديده، وهو «عدم الطلب من حزب الله الانسحاب من الحدود». فهنا قد يصدق المثل «المباحثات الرسمية اللبنانية بمكان، وأهداف حزب الله غير معنيّ بما يحمله المبعوث الأميركي ولا بما تنادي به الحكومة».

> حزب الله غير معنيّ بما يحمله المبعوث الأميركي ولا بما تنادي به الحكومة

بل ببساطة تتعلق بمحور يرسم حدود نفوذه في المنطقة العربية من البحر الأحمر وصولاً إلى البحر الأبيض المتوسط.

فعبارة نصر الله التي أطلقها منذ إطلالته الأولى، بعد عملية طوفان الأقصى، كانت واضحة في ما يتعلق «بعدم السماح بهزيمة حماس». هنا تتجلى النية الواضحة التي تدفع الحزب إلى فرض تهدئة في الجنوب اللبناني، فشرطه الأوحد والوحيد وقف العدوان على غزة وفرض تهدئة دائمة، وغير ذلك فهو غير معنيّ بما يحمله المبعوث الأميركي ولا بما تنادي به الحكومة اللبنانية.

فللجبهة الجنوبية والحرب القائمة حالياً، على ما يبدو، نكهة مختلفة هذه المرّة عن سابقاتها مع العدو. إذ يصرّ الحزب على وضعها في إطار «جبهة مساندة». الأمر الذي يدحض كل أهداف زيارات هوكشتاين، وإن فرض الهدنة لا ترتبط بالقرار الأممي، ولا بانسحاب إسرائيل مما بقي من أراضي لبنان، فضمنها مزارع شبعا وتلال كفرشوبا.

تتمسّك حسابات الحزب بمبدأ «وحدة الساحات» بين قوى الفصائل المتحارة، التي تنضوي تحت لواء محور الممانعة بقيادة الجمهورية الإسلامية في إيران، وإسرائيل والولايات المتحدة، فهذا إن دل على شيء، فعلى أن الجبهة اللبنانية لا ترتبط بالمفاوضات الدبلوماسية، ولا برزيارات هوكشتاين المكوكية للبنان، الله من فتح جبهة الجنوب بمكان آخر».

أعلن حزب الله منذ 8 أكتوبر أنه دخل الحرب مع إسرائيل إيمانًا منه بضرورة فتح جبهات مساندة لحركة حماس التي تخوض حربًا ضروساً مع العدو في أرض المعركة، أي في قطاع غزة. وتتوقف المساندة بالنسبة إليه عند خطوط قواعد الاشتباك التي سعى الحزب لرسمها منذ بداية أعماله العسكرية، التي تهدف إلى حصر العمليات العسكرية عند الجانبين في المناطق المحاذية للحدود، لهذا رفع نصر الله سقف التخاطب مع حكومة نتنياهو بأن أي قصف خارج هذا الإطار يعني الحرب الكبرى.

رغم تخطّي الضربات الإسرائيلية في أحيان كثيرة قواعد الحزب، إذ طاولت عمق الضاحية الجنوبية عبر اغتيالها قيادياً في «حماس»، ومنطقتي بعلبك الهرمل والغازية في صيدا، ورغم الكشف عن نيات رئيس الوزراء الإسرائيلي بتوسيع الحرب مع لبنان، لغايات ترتبط بحساباته في الداخل، إلا أنّ المعركة لم تزل مضبوطة، ولم تتوسع لتصبح حربًا شاملة، فهذا دليل إضافي على أن حرب الحزب لا ترتبط بأجندات الداخل ولا تهدف إلى ردع إسرائيل، بقدر ما تؤكّد مبدأ وحدة الساحات التي تعمل الإدارة الأميركية على فصلها منذ البداية.

فللجبهة الجنوبية والحرب القائمة حالياً، على ما يبدو، نكهة مختلفة هذه المرّة عن سابقاتها مع العدو. إذ يصرّ الحزب على وضعها في إطار «جبهة مساندة»، الأمر الذي يدحض كل أهداف زيارات هوكشتاين، وإن فرض الهدنة لا ترتبط بالقرار الأممي، ولا بانسحاب إسرائيل مما بقي من أراضي لبنان، فضمنها مزارع شبعا وتلال كفرشوبا.

تتمسّك حسابات الحزب بمبدأ «وحدة الساحات» بين قوى الفصائل المتحارة، التي تنضوي تحت لواء محور الممانعة بقيادة الجمهورية الإسلامية في إيران، وإسرائيل والولايات المتحدة، فهذا إن دل على شيء، فعلى أن الجبهة اللبنانية لا ترتبط بالمفاوضات الدبلوماسية، ولا الرسمية اللبن

منظوميّة السؤال في مسألة النهوض

سيف الدين عبد الفتاح

لا تزال خرائط الأسئلة تعطينا ضمن استراتيجية السؤال ملامح جديدة وقضايا مهمّة، وهي لا تزال تثير أكثر من فكرةٍ جديرةٍ بالتأمّل والمتابعة والفحص والمدارسة، سواء في طرح السؤال الصحيح أو ما يثيره التساؤل من ضرورة تحديد منهج النظر إليه؛ من المسائل المهمّة في خريطة الأسئلة أن نتابع ونتبع في هذا الشأن المدخل في التفكير المنظومي. تعرف المنظومة بأنها «مجموعة من المكوّنات والعناصر التي ترتبط بعلاقات منسّقة متناغمة لتكوّن مجالا بعينه، بينها تفاعلاتٌ نشطةٌ تهدف الى تحقيق أهداف محدّدة في هذا المجال؛ ومن ثم فإن «المنظومة تعني في جوهرها وجود بنية ذاتية التكامل تترابط مكوناتها بعضها ببعض، ترابطاً بينياً في علاقات تبادلية التأثير، ديناميكية التفاعل قابلة للتكيف والتكييف».

المنظومة بنيةٌ مفتوحةٌ ومتطوّرةٌ وليست جامدة، بنية شبكية تتّسم بالتشابك وليست خطية التتابع، أي أن المنظومة تمثل كلاً وليس فقط مجرّد تجمع عدّة أجزاء، ولها حدود تحيط بمكوناتها وبيئة وسياقات، فالمنظومة تشمل جميع نواحي الحياة، فمن خلالها يمكن إعداد الخطط والبرامج، وأيضا تحديد الأهداف والغايات بصورةٍ منظوميةٍ بعيداً عن المنحنى الخطّي الذي يتسم بضعف الترابط والعلاقات بين أجزاء المنظومة وإهمال جوانب كثيرة مهمّة تتعلق بزوايا النظر المختلفة.

استلهام هذه النظرة المنظوميّة في عالم الأسئلة يحرّك كل المعاني التي تتعلّق بمنظومة الأسئلة وشبكيّتها وتفاعلاتها ومسألة المتغيّرات فيها والنواة الصلبة منها؛ وهي بهذا الاعتبار تحدّد العلاقة بين الفرع والأصل، وبين الجزء والكل في نسق، وعلى صعيد واحد؛ والاشتقاق من ذلك وتوليد الأسئلة منه وفيه ومعه، وهي من خلال فكرة الشبكية العاملة في جوهر مفهوم المنظومية تؤكّد على حالة التكامل بين الأسئلة والتنوّع فيها والتفاعل والتداخل فيما بينها؛ وترتيب الأسئلة، تصاعديا أو تنازليا، بما يؤثّر في الإدراك والفهم الكلي الشامل. وحتى يمكننا تفهم (وتدبّر) تلك اللوازم والمقتضيات التي يفرضها التفكير المنظومي المسكون بالحالة الشبكية، يمكننا أن نتطرّق إلى قصة مهمّة في هذا المقام.

حينما كنتُ طالبا في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في السنة الثالثة في مرحلة البكالوريوس؛ لم تكن قاعة البحث تعليما وتدريبا على الكتابة البحثية أو تعريفا بمناهج وأدواتها فقط؛ بل شكّلت، في الحقيقة، معامل تدريب للطلاب على الحوار وبناء الحجة؛ وكان الدكتور الذي وصل توّا من أعرق الجامعات في كندا هو من يعطينا هذا المساق المهمّ الذي تميزت به كلية الاقتصاد والعلوم السياسية؛ والذي افتتح إحداها بسؤال مهم وخطير في آن. لقد طرح سؤالا مفادُه: ماذا يمكننا أن نأخذ ونرفض من الغرب؟ وطفق الطلاب يبدون الآراء على تنوّعها؛ إلا أنني حينما أتى الدور علىّ؛ قلتُ للأستاذ حينها؛ هذا السؤال ربما ليس في مقام أن يُبدأ به؛ وأن النظر إلى السؤال ضمن أسئلة أخرى أحرى بها أن تسبقه؛ وأخرى من الواجب أن تلحقه؛ فجاءني ردُّ الأستاذ؛ فهمنا ماذا تريد بالضبط! لقد طرحت سؤالاً وعليك أن تجيب من دون تفلسف!

قلتُ لعلّ هذا السؤال المهم لا بد أن يُسبق بأسئلة ثلاثة ويلحق بثلاثة أخرى؛ الأسئلة الثلاثة التي وجب أن تسبقه؛ من نحن؟ (الهوية الجمعية)؛ ماذا نملك؟ (عالم الإمكانات والقدرات المادية والمعنوية)؛ فلا يعقل أن أقترض ومعي الكثير؛ أما الثالث: على أي أرض نقف؟ (الموقف)؛ ثم يأتي السؤال الذي طرحه أستاذنا ماذا نأخذ أو نرفض من الغرب؟ أما الثلاثة الأخرى التي تلحقه فهي أسئلة العمل بعد تحديد الموقف؛ ما العمل؟ (استراتيجية الفعل الموافقة للموقف والملائمة للحال)؛ أين السبيل؟ (الطريق والطريقة والمنهج)؛ من أين نبدأ (نقطة البداية في الأخذ والترك)؛ تراتب الأسئلة؛ مترافقة مع منهجية توليد الأسئلة والاشتقاق من سؤالٍ رئيسيٍّ وتقاطع الأسئلة وتشابكها؛ لأن فَهم حال السؤال يمكن أن يحيلنا إلى أمرين: الأول إعادة صياغة السؤال؛ والثاني يتعلق بوضع السؤال مكانته ضمن منهجية شبكية الأسئلة ومنظومتها وتفاعلها؛ والذي يؤثر لزوما على مسار الاستجابة والجواب. وهو شأنٌ جامعٌ يرتبط بكل أسئلة النهوض توقّيا للتحيز في طرح السؤال أو المواقف المتعلقة بتحيّزات المواقف المسبقة. ومن هنا كان مهمّا أن يستصحب ذلك منهجية متعدّدة الأبعاد؛ منهج النظر؛ منهج التناول؛ منهج التعامل؛ منهج التوليد؛ منهاجية التشابك والشبكية؛ منظومية التفكير.

أما عن السؤال والتحيّز... فإن ميزة السؤال حينما يُرى في مقامه وسياقه؛ وبعد التحقق من صحّته وصلاحيته؛ تدقيق السؤال من أهم العمليات المنهجية التي تُؤمن طريق الجواب والاستجابة؛ أنه (السؤال) يطرح القضية ولا يحدّد بشكلٍ أو بآخر طريقة الإجابة أو التحيّز في إبداء الرأي به والإجابة عليه، وحينما يكون السؤال متحيّزا فإن أخطر ما يكون على من يتحدّث في مسألة النهوض أن تأتي تلك الإجابات متحيّزة؛ ولعل السؤال المشهور لماذا تأخّر المسلمون وتقدّم غيرهم؟ الذي كان عنوانا لكتاب شكيب أرسلان؛ هو من الأسئلة المسكونة بذلك التحيّز، ذلك أن الوقوف عند سؤال النهوض وكفى يُعدّ سؤالاً صحيحاً يتطلب رصد الاستجابات المتعدّدة والإجابات المتنوعة. قد يوحي السؤال بمسائل معينة في الوصف والمقارنة؛ كما يثير قضية المفاهيم الخاصة بمفهومي التقدّم والتأخّر. ومع ذلك، مثّل هذا الكتاب في وقته أهمية السؤال في افتتاح حوار حول القضية التي تتعلق بالتقدّم والتأخّر؛ والتخلف والنهوض.

وأخيراً، يمكننا الحديث عن حقيقة السؤال؛ ومقام الأسئلة؛ في ضوء اتّحادها في الجذر اللغوي «سأل»؛ إن هذا الجذر واشتقاقاته؛ قد يؤدّي بنا الى منظومةٍ أخرى ربما ضمن هذه الرؤية اللغوية ونظرية الاشتقاق إلى أسرة كلماتٍ مع استصحابها تتكوّن المواقف المنهجية والمعايير التي ترتبط بالسؤال صحةً وصلاحيةً؛ لياقةً وملاءمة؛ مصداقية وأمانة؛ ذلك كله حتى يقع السؤال صحيحاً سليما: وكما يقولون السؤال الصحيح نصف الإجابة؛ منظومة الاشتقاق إذاً تحيلنا إلى؛ السؤال؛ السائل؛ التساؤل؛ المسألة والمسائل؛ المسؤولية؛ المساءلة؛ كلمات بعضُها من بعض كلها تتكامل وتتفاعل لتجعل للسؤال قيمة معرفية وعملية، خصوصاً حينما يتعلق الأمر بمسائل ترتبط بمشاريع التغيير والنهوض والإصلاح.

أما عن السؤال فقد أوضحنا فيه ما يتعلّق باستراتيجية الأسئلة، وكذا منظوميتها؛ أما السائل فإنه يتعلق بكل من يهتم بنهوض الأمة؛ طلبا من النخب الفكرية والحركية للاجتهاد من قبلهم في الجواب والإجابة والاستجابة. أما التساؤل فيعبر عن حالة تؤكّد على حالة من عدم اليقين، ما يفتح الباب واسعا لبذل غاية الجهد في أسئلة النهوض ومحاولة تقديم الإجابات المناسبة؛ سواء على مستوى الوعي والسعي؛ الفكر والحركة. أما المسائل فهي جملة الأفكار والقضايا الكلية التي تُطرح وتصاغ في شكل تساؤل كما مثلنا لخريطة الأسئلة؛ والسؤال كذلك مسؤولية كبرى، سواء في صياغته الصحيحة أو تدقيق الأسئلة؛ وهي مسؤوليةٌ فرديةٌ وجمعيةٌ تعطي السؤال حجّية في الطرح وتقديم الإجابات الوازنة والفاعلة الراشدة؛ فتكون تلك الاستجابة الواعية مقدّمة لطرح أسئلة العمل والشروع في تبنّيها على الأرض في عملية تغيير واسعة؛ إنها المسؤولية الجماعية المعبرة عن الوعي والسعي الجمعيين تتحرّك صوب الهدف والمقصد المتعلق بعمليات النهوض. ثم تتوّج كل تلك المعاني بالمساءلة الحضارية كل حين؛ المساءلة وفق هذا الاعتبار شاملة؛ المساءلة سؤالٌ وأسئلة، مسائل ومناهج، مسؤولية والتزام، قراءة بصيرة ومراجعة أمينة، وليست اتهاماً أو محاكمة، وهي ليست إسقاطاً من الحاضر على الماضي، أو من الماضي على الحاضر فإن ذلك خروجٌ على حدّ المنهج والمنهاجية. ولكن الأمر في نطاق العبرة والاستفادة؛ قراءة الاستثمار لا الإهدار؛ المساءلة مراجعة شاملة تحرّك النقد البناء والفعّال ضمن حالة حوارية كاملة وفاعلة؛ إنها أسئلة النهوض المركّبة التي لا يفيد فيها الانفعال أو الافتعال أو الإغفال، التي تبرز قيمة السؤال في استراتيجيته ومنظوميّته.

(كاتب مصري في إسطنبول)

> المنظومة بنيةٌ مفتوحةٌ ومتطوّرةٌ وليست جامدة، بنية شبكية تتّسم بالتشابك وليست خطية التتابع، أي أن المنظومة تمثل كلاً وليس فقط مجرّد تجمع عدّة أجزاء

> حينما يكون السؤال متحيّزاً فإن أخطر ما يكون على من يتحدّث في مسألة النهوض أن تأتي تلك الإجابات متحيّزة

هل يعود تنظيم داعش؟

إبراهيم كاراتش

-ألقى جهاز المخابرات التركي (المعروف اختصاراً MİT) القبض على أحد أعضاء تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، كان يعمل بهوية مزيفة في محطة أكّكُيو النووية، قيد الإنشاء في ولاية مرسين التركية. وأن يعمل عضوٌ من «داعش» في منشأة بهذه الحساسية لا يأتي مصادفة. لم يتضح بعد سبب عمله فيها، ولم يُنشر أي اعتراف له في الصحافة، ولكن يصعُب تصديق أنه كان يعمل من أجل تغطية نفقاته الحياتيّة كأي شخص آخر، ويزيد من ذلك الشك عملُه بهوية مزيّفة.

تعمل الشرطة والاستخبارات التركية بصورة حثيثة للقبض على منسوبي «داعش» منذ 28 الشهر الماضي (فبراير/ شباط)، ففي هذا اليوم تحديداً أرتكب اثنان من منسوبي «داعش» هجوماً إرهابياً على كنيسة إيطالية في إسطنبول، وقتلا شخصاً. وهو هجوم يأتي بعد سبع سنوات من آخر استهداف لتركيا من التنظيم المذكور. وتبيّن لاحقاً أن أحد اللذيْن نفّذا الهجوم يحمل الجنسية الروسية وجنسية الآخر طاجيكستانية، واثناهما ينتسبان لتنظيم داعش - خراسان. وبحسب التقارير الاستخباراتية التي حصلت عليها وسائل الإعلام، يستهدف التنظيم الجنسيات غير التركية، من أجل القيام بأعماله الإرهابية، حتى يصعب على الأجهزة الأمنية التركية تعقبه.

استهدف التنظيم في الثالث من يناير/ كانون الثاني المنصرم الحشود المجتمعة خلال الذكرى السنوية لمقتل قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني السابق، قاسم سليماني، في مدينة كرمان، وقتل 94 شخصاً. وخلال الشهر نفسه، ارتكب التنظيم هجماتٍ عدّة في سورية قتل إثرها تسعة من أفراد الجيش السوري. والخلاصة، خلال شهر واحد، قتل «داعش» أكثر من مائة شخص في ثلاث دول، ما يبعث تساؤلاتٍ كثيرة بشأن عودة التنظيم من عدمها.

أقوم منذ عام 2020 ببحث علمي في مسألة تنظيم داعش، وقد نشرت عنه مقالات علمية عدة. وأهم النتائج التي انتهيتُ إليها أنّ تواري التنظيم عن الأنظار إنما بسبب الضعف الذي اعتراه، لكنه لم ينته تماماً. بمعنى أن التنظيم سيعود إلى ممارسة نشاطه، حالما توفّرت الظروف المناسبة. كما أن أعضاءه ما زالوا على ولائهم القديم، وإن ضعف التنظيم. علاوة على ذلك، لا تزال أغلب الظروف التي أدّت في السابق إلى ظهور «داعش» موجودة.

بما أن التنظيم يريد أن ينتفض من جديد، إذاً لا بد من دراسة أسباب هذه الانتفاضة والنتائج المحتملة لها. في البداية، هنالك من يعزو هذه الانتفاضة إلى الإبادة التي تمارسها دولة الاحتلال الإسرائيلي في غزّة. فبحسب هذا الادعاء، يريد «داعش» أن يخرج من مخبئه في ردة فعل على المجازر الإسرائيلية. هذا الادعاء، وإن بدا منطقياً، تفنّده أفعال «داعش» السابقة، فقد أعدم «داعش» أحد أعضاء حركة حماس رمياً بالرصاص في يناير/ كانون الثاني 2018، ثم نشر فيديو يستهدف به «حماس» بالأساس.

وبحسب بعض الفلسطينيين فإن وجود التنظيم في شبه جزيرة سيناء ما هو إلا لكسْر عود المقاومة الفلسطينية في غزّة. ولافتٌ أن الهجمات المذكورة أعلاه تزامنت مع ارتكاب إسرائيل إبادة جماعية في غزّة، ومعلوم أن تركيا وإيران تدعمان «حماس» بوضوح، ولا يلتزمان الصمت في وجه الظلم الإسرائيلي.

وقد ألقت المخابرات التركية في شهري ديسمبر/ كانون الأول ويناير/ كانون الثاني الماضي القبض على العديد من عملاء الموساد. وإذا كان «داعش» يعمل لصالح إسرائيل، حسب ادعاءات بعضهم، فيمكن تفسير تلك الهجمات بأنها أعمال انتقامية. وإثبات العلاقة بينهما من الصعوبة بمكان، لكن قيام التنظيم بهجمات إرهابية في دول معادية لإسرائيل يزيد من الشكوك، فإذا صحّت فرضية أن «داعش» مرتبط بإسرائيل، فيمكن القول إنها من أعادتها إلى الواجهة مرة أخرى، غير أن من الخطأ الشديد الاستدلال بناءً على الشكوك وحدها.

من ناحية أخرى، هنالك أسباب مؤكّدة لعودة «داعش». ومن كثير كتبته عن هذا التنظيم في فترة نشاطه بين 2014 و2018، أن من أسباب الانضمام إليه شعور المنتسبين إليه بالعزلة أو الاستبعاد في بلدانهم التي ولدوا فيها أو التي يعيشون فيها، وخصوصاً الدول الأوروبية. وقد أفاد بعض من أجريت معهم مقابلات صحافية بأنهم يشعرون بأنهم غير مرغوب بهم من المجتمع، أو أنهم عاطلون عن العمل، أو تعرّضهم لشكلٍ من التمييز في الدولة الأوروبية التي يعيشون فيها. فيما قال بعضهم إن «الجهاد» سبب انضمامهم إلى تنظيم الدولة الإسلامية، غير أن تبنّيه المنهج السلفي السبب الأهم لانضمام كثير من منتسبيه.

لهذه الأسباب سابقة الذكر، ذهب عشرات الآلاف إلى سورية والعراق، للعيش تحت لواء من يسمّى الخليفة. وخلال فترة نشاط التنظيم الممتدّة أربع سنوات تقريباً، قتل منتسبوه آلافاً من الناس أغلبهم من المسلمين. إن سألت أحد هؤلاء الدواعش سيقول لك إن من لا يتّبعهم من السنة فهو كافر، أمّا الشيعة فهم كفّار بالأساس حسب اعتقادهم. ولهذا السبب، قتلوا مسلمين عديدين بأبشع الأساليب التي لا يتصوّرها أحد. صحيحٌ أنه جرى تحييد «داعش» في سورية والعراق. لكن الأسباب التي أوجدته قائمة، كما سلف القول أعلاه. والحقيقة أن المجازر الإسرائيلية حالياً ربما أصبحت سبباً إضافياً للتنظيم، لكي يعاود نشاطه، رغم أنه يتخذ من حركة حماس عدواً له.

وكحال عديدين من الشباب الغاضبين من الحكم الاستبدادي لحكوماتهم، زاد من غضبهم صمت تلك الحكومات حيال المجازر في غزّة. ويمتدّ هذا الغضب إلى الجاليات المسلمة في أوروبا بسبب الدعم اللامحدود الذي تقدّمه حكومات أوروبية كثيرة لإسرائيل.

يمكن القول إن هناك تنامياً للعداء تجاه الإسلام في أوروبا، وذلك يزعج المهاجرين المسلمين بالدرجة الأولى. وبناء عليه، قد تتباين ردّات الأفعال تجاه ذلك، فبعضهم قد يرى التظاهر والاعتراض كافياً لإيصال صوتهم، وقلة قد تسعى إلى الانتقام وانتهاز الفرص للقيام بذلك، أو البحث عن الجهات والتنظيمات التي تمكّنهم من تحقيق ذلك المسعى. وفي مثل هذه الظروف، تطفو إلى السطح تنظيماتٌ كداعش تستخدم حالة الغضب هذه لصالح أهدافها الخاصة. إحدى الطرق لإثبات حقيقة «أنا لم أمت، ما زلت على قيد الحياة» هي الهجوم. ربما لهذا السبب، بدأ «داعش» تنفيذ أعماله الإرهابية في سورية وإيران وتركيا. وإذا أتيحت له الفرصة فمن المحتمل أن يرتكب هجمات مماثلة في أوروبا.

وتشكّل الدول التي لا توجد فيها سلطة قائمة أو ضعيفة بيئة خصبة لازدهار مثل هذه التنظيمات. أفضل مثال على ذلك البيئة التي توفرت لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسورية. وقد توسّعت دولة الخلافة المزعومة له بشكل كبير، إلى درجة أن رؤوس هذا التنظيم حكمت فترة من الوقت على مساحة أكبر من أراضي إنجلترا، لكنها، في نهاية المطاف، هُزمت عندما استهدفتها وعناصرها ومواقعها المسلحة الدول الإقليمية والقوى الدولية، إلا أن هذه وتلك لم تتمكّنا من القضاء على التنظيم تماماً. ويمكن القول إن «داعش» حالياً بمثابة روح تتجوّل باحثة عن جسد تسكنه. ربما يكون ذلك الجسد في سورية أو العراق، أفريقيا أيضاً ليست مستبعدة.

أما إذا كان التنظيم يخضع لسيطرة أميركا وإسرائيل كما يُزعم، فهنالك احتمال أن يلعب دور القاتل المأجور. وفي هذه الحال، لن يكون من المفاجئ أن يهاجم «حماس».

خلاصة ما سبق ذكره، يمكن القول إن تنظيم داعش لم ينته تماماً. وفي هذه الأثناء، يحاول جاهداً أن ينتفض من تحت الأنقاض، وفي هذه الأوقات، يتخذ من القضية الفلسطينية حجّة لظهوره مرّة أخرى. وإذا عاد التنظيم قوياً كما كان، فإن المنتسبين إليه حديثاً لن يفكّروا في عدائه حركة حماس، أو حقيقة قتله مسلمين كثيرين في السابق. ما يهم منتسبوه هو التنفيس عن غضبهم، من خلال العنف، وطبيعة «داعش» الإرهابية تلبي تلك الرغبات على أكمل وجه. لذلك لا بد أن يُمنع التنظيم المذكور من أن يصبح قوياً كحاله السابق، ربما سيكون من الصعب إزالة الأسباب المؤدّية إلى ظهوره. لكن ينبغي الحرص على ألا يصبح «داعش» مشكلة أخرى تضاف إلى مشكلات العالم الإسلامي العديدة، فلا ينبغي لنا السماح لتنظيماتٍ تستغلّ مسألة الدفاع عن النفس، وتبنّي مظالم الشعوب المكلومة في المجتمعات الإسلامية، لكنها توجّه فوهات بنادقها نحو المظلومين بدلاً من الظالمين.

كما أسلفنا، يعاني العالم الإسلامي من مشكلات داخلية وخارجية كثيرة، ولكن ينبغي له أن يحلّ هذه القضية بنفسه لتجنّب الضرر الذي تسببه مثل هذه التنظيمات الطفيلية للمسلمين بتسلّقها على قضاياهم.

(كاتب تركي)

> لم ينته تنظيم داعش تماماً. يحاول جاهداً أن ينتفض من تحت الأنقاض، وفي هذه الأوقات، يتخذ من القضية الفلسطينية حجّة لظهوره مرّة أخرى

> من أسباب الانضمام إلى تنظيم الدولة الإسلامية، شعور المنتسبين إليه بالعزلة أو الاستبعاد في بلدانهم التي ولدوا فيها أو التي يعيشون فيها، وخصوصاً الدول الأوروبية

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

رئيس التحرير **حسام كنفاني** ◻ مدير التحرير **ارنست خوري** ◻ المدير الفني **إميل منعم** ◻ السياسة **جمانة فرحات** ◻ الاقتصاد **مصطفى عبد السلام** ◻ الثقافة **نجوان درويش** ◻ منوعات **ليال حداد** ◻ الرأي **معن البياري** ◻ المجتمع **يوسف حاج علي** ◻ الرياضة **نبيل التليلي** ◻ تحقيقات **محمد عزام** ◻ مراسلون **نزار قنديل**

المكاتب
◻ المكتب الرئيسي، **لندن**
Ealing Cross, Second floor, 85 Uxbridge Road, London, W5 5TH
Tel: 00442045801000
◻ مكتب **الدوحة**
الدوحة ـ برج الفردان ـ لوسيل ـ الطابق الـ 20 ـ
هاتف: 0097440190600
◻ مكتب **بيروت**
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
◻ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
◻ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
◻ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads